تمثلات الهوية وبناء الذات السردية في الرواية النسائية المغربية المعاصرة

مقاربة نظرية

وداد بنعودة

طالبة باحثة بسلك الدكتوراه

كلية الآداب والعلوم الإنسانية جامعة عبد المالك السعدي – تطوان

المغرب

الملخص:

يهدف هذا المقال إلى بناء إطار نظري لتحليل تمثلات الهوية في الرواية النسائية المغربية المعاصرة، انطلاقاً من تجاوز التصورات الجوهرانية التي تنظر إلى الهوية باعتبارها معطى ثابتاً، نحو تصور بنائي يرى فيها نتاجاً لعمليات سردية وثقافية متغيرة. ويستند البحث إلى تقاطع ثلاث مقاربات رئيسية، هي الدراسات الثقافية، والسرديات، والنظرية النسوية، من أجل فهم الكيفيات التي تُبنى بها الذات داخل الخطاب الروائي. يناقش المقال إشكالية العلاقة بين الهوية والسرد، مبرزاً أن الهوية لا تُعكس في النص الروائي بقدر ما يُعاد إنتاجها من خلال آليات حكائية متعددة، مثل الضمير السردي، وتعدد الأصوات، والسرد الذاتي. كما يسلط الضوء على دور المقاربات النسوية في تفكيك البعد الجندري للهوية، وإبراز طابعها الأدائي والخطابي، مع التأكيد على محدوديتها الإجرائية في تحليل النصوص.

وفي سياق الرواية النسائية المغربية، يبرز البحث خصوصية تمثلات الهوية في ارتباطها بعوامل ثقافية واجتماعية مركبة، حيث يتقاطع الجسد والسلطة والذاكرة داخل بنى سردية تعكس تعدد الذات وعدم استقرارها. ويخلص المقال إلى أن تحليل الهوية يقتضي الجمع بين فهم السياق الثقافي وتفكيك البنيات السردية، بما يسمح بالكشف عن آليات تشكل الذات داخل النص الروائي. وبذلك، يؤكد المقال أن الهوية في الرواية النسائية المغربية ليست معطى جاهزاً، بل بناءً سردياً دينامياً، يتشكل عبر التفاعل بين الخطاب والذات والسياق، مما يفتح آفاقاً بحثية لتطوير نماذج تحليلية أكثر تكاملاً في دراسة تمثلات الهوية في الأدب المعاصر.

Abstract :

This article aims to develop a theoretical framework for analyzing representations of identity in contemporary Moroccan women's fiction, moving beyond essentialist conceptions that treat identity as a fixed entity toward a constructivist perspective that understands it as the product of dynamic narrative and cultural processes. The study draws on the intersection of three main approaches, cultural studies, narrative theory, and feminist theory, in order to examine how the self is constructed within the novelistic discourse. The article addresses the relationship between identity and narrative, arguing that identity is not merely reflected in literary texts but is actively reproduced through various narrative mechanisms, including narrative voice, polyphony, and self narration. It also highlights the contribution of feminist approaches in deconstructing the gendered dimension of identity and revealing its performative and discursive nature, while noting their methodological limitations in textual analysis.

Within the context of Moroccan women's fiction, the study emphasizes the specificity of identity representations as shaped by complex cultural and social factors, where body, power, and memory intersect within narrative structures that reflect the multiplicity and instability of the self. The article concludes that analyzing identity requires combining an understanding of cultural context with a close examination of narrative structures, allowing for a deeper insight into the processes of self construction within the text. Ultimately, identity in Moroccan women's fiction is conceptualized not as a pre given entity but as a dynamic narrative construct emerging from the interaction between discourse, self, and context, opening new avenues for more integrative analytical models in the study of identity representation in contemporary literature.

المقدمة

شهدت الدراسات الأدبية المعاصرة تحوّلاً لافتاً في مقاربة مفهوم الهوية، حيث لم تعد تُفهم باعتبارها جوهراً ثابتاً أو معطىً قبلياً، بل بوصفها بناءً دينامياً يتشكل عبر اللغة والخطاب والممارسات الثقافية. وفي هذا الإطار، أكدت المقاربات الحديثة في الدراسات الثقافية أن الهوية تُنتج داخل أنساق التمثيل، وتتحدد من خلال علاقاتها بالسياق الاجتماعي والتاريخي، لا باعتبارها انعكاساً مباشراً لواقع خارجي (Hall, 1990). كما أبرزت الفلسفات التأويلية أن الذات لا تُدرك إلا عبر السرد، إذ يتشكل وعيها بذاتها من خلال الحكي وإعادة تنظيم التجربة الزمنية في بنى دلالية، وهو ما بلوره Paul Ricoeur في تصوره للهوية السردية بوصفها نتاجاً للتفاعل بين الزمن واللغة (Ricoeur, 1992).

وفي السياق ذاته، أسهمت الدراسات النسوية في إعادة مساءلة مفهوم الهوية، خاصة من زاوية الجندر، حيث بيّنت أن الهوية النسائية ليست معطىً طبيعياً أو بيولوجياً، بل هي بناء اجتماعي وثقافي يتشكل عبر ممارسات خطابية متكررة، وهو ما تؤكده Judith Butler من خلال مفهوم الأداء الجندري (Butler, 1988). وبذلك، يصبح السرد مجالاً مركزياً لإعادة إنتاج الهوية أو تفكيكها، بما يتيحه من إمكانات لإعادة تمثيل الذات، ومراجعة موقعها داخل البنيات الثقافية السائدة.

ضمن هذا الأفق النظري، يكتسب السرد الروائي أهمية خاصة، باعتباره فضاءً تتقاطع فيه تمثلات الذات والآخر، وتتجسد فيه التحولات التي تعرفها الهوية في علاقتها بالزمن والذاكرة والسلطة. وقد أكدت دراسات السرد أن الخطاب الروائي لا ينقل الواقع بقدر ما يعيد تشكيله عبر استراتيجيات سردية متعددة، تشمل التبئير، وتعدد الأصوات، وبناء الزمن الحكائي (Genette, 1980; Chatman, 1978). ومن ثم، فإن تحليل الرواية يتيح الكشف عن آليات بناء الهوية داخل النص، وليس مجرد رصد انعكاساتها.

وإذا كان هذا التحول النظري قد حظي باهتمام واسع في الدراسات الغربية، فإن السياق العربي، والمغربي على وجه الخصوص، لا يزال يشهد تراكماً متفاوتاً في هذا المجال. فعلى الرغم من الجهود النقدية التي أسهمت في تطوير تحليل الخطاب السردي، كما نجد عند لحمداني (1991) ويقطين (1997)، فإن الربط بين الهوية والسرد، خاصة في إطار الكتابة النسائية، لا يزال في حاجة إلى مزيد من التأصيل النظري. وفي المقابل، برزت الكتابة الروائية النسائية المغربية المعاصرة بوصفها مجالاً خصباً لإعادة طرح أسئلة الهوية، سواء من خلال مساءلة الجسد، أو تفكيك البنيات الاجتماعية، أو إعادة تشكيل الذات داخل فضاءات سردية متعددة(كرام، 2009؛ بنمسعود، 2010).

انطلاقاً من ذلك، يطرح هذا البحث إشكالية مركزية مفادها:

كيف تُبنى الهوية داخل الرواية النسائية المغربية المعاصرة بوصفها تمثلاً سردياً، وما الآليات التي تسهم في تشكل الذات السردية داخل هذا الخطاب؟

وتتفرع عن هذه الإشكالية أسئلة فرعية، من قبيل:

- **هل تعكس الرواية النسائية الهوية أم تعيد إنتاجها؟**
- **ما دور البنيات السردية في تشكيل الوعي بالذات؟**
- **إلى أي حد يمكن الحديث عن خصوصية للهوية النسائية في السياق المغربي؟**

ويسعى هذا المقال إلى مقاربة هذه الإشكالية من خلال بناء إطار نظري يستند إلى تقاطع الدراسات الثقافية، والسرديات، والنظرية النسوية، بهدف الكشف عن الكيفيات التي يتم بها تمثيل الهوية وإعادة بنائها داخل الخطاب الروائي النسائي المغربي المعاصر.

الهوية كإشكال نظري : من التصور الجوهراني إلى البناء الخطابي

عرف مفهوم الهوية تحولات عميقة في الفكر المعاصر، إذ انتقل من تصور جوهراني يقوم على الثبات والاستقرار، إلى تصور بنائي يرى في الهوية نتاجاً لسيرورات تاريخية وثقافية متغيرة. ففي التصورات الكلاسيكية، كانت الهوية تُفهم باعتبارها تعبيراً عن جوهر ثابت يميز الفرد أو الجماعة، ويمنحها استمرارية عبر الزمن، وهو ما يتجلى في بعض الطروحات الفلسفية التي ربطت الهوية بوحدة الذات واستقرارها (Taylor, 1989). غير أن هذا الفهم سرعان ما تعرض للنقد، خاصة مع بروز المقاربات التي شككت في إمكانية الحديث عن هوية مكتملة أو مغلقة.

في هذا السياق، أعادت الدراسات الثقافية صياغة مفهوم الهوية باعتباره بناءً خطابياً يتشكل داخل أنساق التمثيل، حيث يؤكد Stuart Hall أن الهوية ليست معطى جاهزاً، بل هي نتيجة عمليات تمثيل مستمرة تتحدد ضمن سياقات تاريخية واجتماعية معينة (Hall, 1990). وبهذا المعنى، تغدو الهوية سيرورة مفتوحة، تتشكل عبر الاختلاف والتفاوض، لا عبر التطابق والثبات. ويعزز هذا التصور ما ذهب إليه Brubaker and Cooper (2000) ، حين دعوا إلى تجاوز الاستخدام الفضفاض لمفهوم الهوية، والتنبيه إلى طابعه الإشكالي، باعتباره مفهوماً تحليلياً غير مستقر، يحتاج إلى تفكيك بدل التسليم به كمعطى جاهز.

غير أن هذه المقاربات، رغم إسهامها في تفكيك التصورات الجوهرانية، تظل في مستوى توصيفي عام، إذ تركز على طبيعة الهوية وتحولاتها، دون أن تحدد بشكل دقيق الآليات التي يتم من خلالها إنتاج هذه الهوية داخل الخطابات، خاصة الخطاب الأدبي. فهي تبيّن أن الهوية تُبنى، لكنها لا تشرح كيف تُبنى سردياً، ولا عبر أي أدوات تحليلية يمكن تتبع هذا البناء داخل النصوص.

من جهة أخرى، قدّمت الفلسفة التأويلية تصوراً أكثر تعقيداً للهوية، من خلال ربطها بالسرد والزمن، حيث يرى Paul Ricoeur أن الهوية لا تتحقق إلا عبر الحكي، وأن الذات لا تُدرك إلا من خلال إعادة تنظيم تجربتها الزمنية داخل بنية سردية تمنحها المعنى (Ricoeur, 1992). وبهذا، تنتقل الهوية من كونها خاصية ثابتة إلى كونها بناءً سردياً يتشكل عبر التفاعل بين الذاكرة والتجربة والزمن. غير أن هذا التصور، رغم أهميته في نقل النقاش من مستوى التعريف إلى مستوى التشكّل، يظل بدوره أقرب إلى التأمل الفلسفي، إذ لا يقدم نموذجاً إجرائياً واضحاً يمكن تطبيقه مباشرة على تحليل النصوص السردية.

انطلاقاً من ذلك، يتضح أن الأدبيات التي تناولت مفهوم الهوية تتوزع بين تصورين رئيسيين: تصور وصفي يؤكد الطابع البنائي والمتغير للهوية، وتصور تأويلي يربطها بالسرد والزمن. غير أن ما يجمع بين هذين التصورين هو محدوديتهما من حيث البعد الإجرائي، إذ يقدمان فهماً نظرياً للهوية دون تحويله إلى أدوات تحليلية قادرة على الكشف عن تمثلاتها داخل الخطاب السردي. ومن هنا تبرز الحاجة إلى إعادة بناء هذا المفهوم ضمن إطار نظري يجمع بين بعده الثقافي والسردي، ويتيح في الآن نفسه إمكانية توظيفه إجرائياً في تحليل النصوص الروائية، خاصة في سياق الرواية النسائية المغربية المعاصرة.

الهوية السردية وإشكالية بناء الذات داخل الخطاب الحكائي

أدى التحول الذي عرفه مفهوم الهوية في الفكر المعاصر إلى إعادة النظر في علاقتها بالسرد، حيث لم تعد الهوية تُفهم بوصفها خاصية ثابتة للذات، بل باعتبارها بناءً يتشكل من خلال الحكي وإعادة تنظيم التجربة. وفي هذا السياق، برزت المقاربات التأويلية التي ربطت بين الهوية والزمن والسرد، معتبرة أن الذات لا تُعطى بشكل مباشر، بل تُبنى عبر تمثيل تجربتها في صيغة سردية. ويعد Paul Ricoeur من أبرز المنظرين لهذا التوجه، إذ يرى أن الهوية السردية تتشكل من خلال قدرة الذات على تأليف أحداث حياتها داخل بنية حكائية تمنحها معنى واستمرارية، بحيث يصبح السرد وسيطاً أساسياً لفهم الذات وربط ماضيها بحاضرها ومستقبلها.(Ricoeur, 1992)

في الاتجاه نفسه، يؤكد Bruner (1991) أن السرد ليس مجرد وسيلة لنقل الأحداث، بل هو نمط معرفي خاص يتيح للإنسان تنظيم تجربته وفهم ذاته والعالم من حوله. فالسرد، وفق هذا التصور، لا يعكس الواقع كما هو، بل يعيد تشكيله داخل أطر رمزية تمنح التجربة دلالة،

مما يجعل الهوية نتاجاً لعمليات تأويل مستمرة، تتغير بتغير السياقات والخطابات. كما تذهب Somers (1994) إلى أن الهوية لا تتحدد إلا من خلال انخراط الأفراد في شبكات سردية متعددة، بحيث تتشكل الذات داخل علاقات معقدة من الحكايات التي تنتجها الثقافة والمجتمع.

غير أن هذه المقاربات، رغم أهميتها في نقل مفهوم الهوية من مستوى الجوهر إلى مستوى البناء السردي، تظل في أغلبها ذات طابع نظري عام، إذ تركز على الوظيفة التأويلية للسرد دون أن تحدد بشكل دقيق الكيفيات التي تتجسد بها هذه الهوية داخل البنيات السردية للنصوص الأدبية. فهي تبيّن أن الهوية تُبنى عبر السرد، لكنها لا توضح عبر أي عناصر سردية يتم هذا البناء، ولا كيف يمكن تتبع تمثلات الذات داخل النص من خلال أدوات تحليلية محددة.

وفي المقابل، طورت الدراسات السردية مجموعة من المفاهيم الإجرائية التي تسمح بتحليل بنية الخطاب الروائي، كما يتجلى في أعمال Genette (1980) وChatman (1978)، حيث تم التركيز على عناصر مثل الزمن، والتبئير، ومستويات السرد، وتعدد الأصوات. غير أن هذه المقاربات، على الرغم من دقتها التحليلية، لم تربط بشكل منهجي بين هذه الأدوات وإشكالية الهوية، مما أدى إلى نوع من الفصل بين تحليل البنية السردية من جهة، وفهم تشكل الذات داخل النص من جهة أخرى.

انطلاقاً من ذلك، يتبين أن الأدبيات المتعلقة بالهوية السردية تتوزع بين اتجاهين رئيسيين: اتجاه تأويلي يبرز دور السرد في بناء الذات، واتجاه بنيوي يوفر أدوات دقيقة لتحليل الخطاب السردي، غير أن كلاً منهما يظل ناقصاً في حد ذاته، ما دام الأول يفتقر إلى البعد الإجرائي، والثاني يغفل إشكالية الهوية. ومن هنا تبرز الحاجة إلى مقاربة تركيبية تجمع بين هذين المستويين، بحيث يتم توظيف الأدوات السردية في تحليل الكيفيات التي تُبنى بها الهوية داخل النص، وهو ما يشكل مدخلاً أساسياً لفهم تمثلات الذات في الرواية النسائية المغربية المعاصرة.

المقاربات النسوية وتمثلات الهوية: نحو تفكيك البعد الجندري للسرد

أعادت المقاربات النسوية النظر في مفهوم الهوية من خلال مساءلة الأسس التي قام عليها التصور التقليدي للذات، خاصة في علاقته بالجندر والسلطة والتمثيل. إذ لم تعد الهوية النسائية تُفهم باعتبارها تعبيراً عن طبيعة ثابتة أو خصوصية جوهرية، بل بوصفها بناءً اجتماعياً وثقافياً يتشكل داخل أنساق خطابية معقدة. وفي هذا السياق، تبرز إسهامات Judith Butler التي ترى أن الهوية الجندرية ليست معطىً مسبقاً، بل هي نتيجة لممارسات أدائية متكررة تنتجها أنظمة الخطاب والسلطة، بحيث تصبح الهوية أثراً لهذه الممارسات لا سبباً لها (Butler, 1988). وبهذا المعنى، تغدو الهوية النسائية مجالاً للصراع والتفاوض، لا كياناً مستقراً يمكن تحديده خارج السياق.

وقد ساهم هذا التحول في نقل النقاش من البحث عن "ماهية المرأة" إلى تحليل الكيفيات التي يتم من خلالها تمثيلها داخل الخطاب، سواء الأدبي أو الثقافي. ومن ثم، لم تعد الكتابة النسائية تُختزل في كونها تعبيراً عن تجربة ذاتية، بل أصبحت تُفهم باعتبارها فضاءً لإعادة بناء الهوية، وإعادة توزيع مواقع الذات داخل البنية الرمزية للمجتمع. وفي هذا الإطار، ركزت بعض الدراسات العربية على خصوصية السرد النسائي، كما نجد عند كرام (2009)، حيث تم إبراز السمات الموضوعية والجمالية التي تميز هذا النوع من الكتابة، خاصة في علاقته بالجسد والذاكرة واللغة. كما سعت أعمال مثل بنمسعود (2010) إلى تحليل الأبعاد الجمالية للسرد النسائي، والكشف عن خصوصياته التعبيرية داخل السياق المغربي.

غير أن هذه المقاربات، على الرغم من أهميتها في إبراز الطابع البنائي للهوية النسائية، تظل في كثير من الأحيان أسيرة بعدين أساسيين: بعد نقدي يركز على تفكيك التصورات الجوهرانية، وبعد وصفي يهتم برصد الخصائص الموضوعية أو الأسلوبية للكتابة النسائية. فهي، من جهة، تكشف أن الهوية تُبنى خطابياً، لكنها لا تقدم تصوراً دقيقاً للكيفية التي يتم بها هذا البناء داخل النص السردي، ومن جهة أخرى، تميل إلى التركيز على مضمون التجربة النسائية أكثر من تحليل البنيات السردية التي تنتج هذه التجربة.

وعلى هذا الأساس، يمكن القول إن المقاربات النسوية، رغم إسهامها في زحزحة التصورات التقليدية للهوية، لم تنجح دائماً في بناء نموذج إجرائي يربط بشكل منهجي بين إشكالية الهوية وآليات اشتغال السرد. فهي تطرح سؤال "من تتكلم؟" و"كيف تُبنى الذات؟"، لكنها لا

تجيب بشكل كافٍ عن سؤال "كيف يُبنى هذا التمثيل سردياً؟" من خلال أدوات تحليل محددة. ومن هنا تبرز الحاجة إلى إعادة توظيف هذه المقاربات ضمن إطار تركيبي، يجمع بين بعدها النقدي وقدرتها على تفكيك الخطاب، وبين أدوات السرديات التي تسمح بتحليل البنية النصية، بما يتيح فهماً أدق لتمثلات الهوية النسائية داخل الرواية المغربية المعاصرة.

خصوصية الرواية النسائية المغربية: السياق الثقافي والاجتماعي وتمثلات الجسد والسلطة

تتحدد خصوصية الرواية النسائية المغربية المعاصرة في تقاطعها مع سياق ثقافي واجتماعي مركّب، تتداخل فيه أبعاد تاريخية ولغوية وقيمية متعددة، وهو ما يجعل تمثلات الهوية داخلها غير منفصلة عن الشروط التي تُنتجها. فالمجتمع المغربي، بما يحمله من تعددية ثقافية ولسانية، وبما يعرفه من تحولات مرتبطة بالحداثة والتقليد، يشكل إطاراً مرجعياً يؤثر في كيفية بناء الذات وتمثيلها داخل الخطاب السردي. ومن ثم، فإن الهوية في هذا السياق لا تُفهم بمعزل عن علاقاتها بالبنية الاجتماعية، بل باعتبارها نتاجاً لتفاعل مستمر بين الفردي والجماعي، وبين الموروث والتحول.

ضمن هذا الإطار، تبرز الرواية النسائية بوصفها فضاءً لإعادة صياغة موقع الذات داخل هذه البنية المركبة، حيث لا تكتفي بتمثيل التجربة النسائية، بل تسهم في إعادة بنائها من خلال مساءلة الأدوار الاجتماعية وإعادة توزيع العلاقات الرمزية. وقد أظهرت بعض الدراسات أن السرد النسائي العربي يميل إلى إبراز التوتر القائم بين الذات والسلطة، سواء تجلت هذه السلطة في صورتها الاجتماعية أو الثقافية أو الرمزية، وهو ما يتجلى في اشتغال النصوص على كشف البنيات التي تؤطر حضور المرأة داخل المجتمع (كرام، 2009).

وفي هذا السياق، يحتل الجسد موقعاً مركزياً في تمثلات الهوية النسائية، حيث يتحول من كونه معطى بيولوجياً إلى فضاء دلالي تُكتب عليه علاقات السلطة والمعنى. فالجسد، داخل الخطاب السردي، لا يظهر بوصفه موضوعاً للوصف فقط، بل كوسيط لإعادة التفكير في الهوية، من خلال ما يحمله من توترات بين الكبح والتحرر، وبين الامتثال والانفلات. وهو ما يجعل تمثيل الجسد في الرواية النسائية مرتبطاً بشكل وثيق بإشكالية السلطة، حيث يصبح السرد وسيلة لإعادة امتلاك هذا الجسد، وإعادة تعريفه خارج الأطر التي تفرضها الثقافة السائدة (بنمسعود، 2010).

غير أن هذه التمثلات لا تُختزل في بعدها الموضوعي، بل تتجسد من خلال آليات سردية محددة، تتيح إعادة بناء العلاقة بين الذات والعالم. فاختيار ضمير السرد، وتعدد الأصوات، وتفكيك الزمن الحكائي، كلها عناصر تسهم في إنتاج صورة مركبة للهوية، تعكس عدم استقرارها وتعدد مرجعياتها. ومن ثم، فإن خصوصية الرواية النسائية المغربية لا تكمن فقط في موضوعاتها، بل في الكيفيات التي تُبنى بها هذه الموضوعات داخل الخطاب، بما يسمح بإعادة تشكيل تمثلات الذات في علاقتها بالجسد والسلطة.

انطلاقاً من ذلك، يمكن القول إن الرواية النسائية المغربية المعاصرة تمثل مجالاً مميزاً لتحليل تمثلات الهوية، باعتبارها تشتغل داخل سياق ثقافي معقد، وتوظف أدوات سردية تتيح إعادة بناء الذات بشكل يتجاوز التصورات التقليدية. وهو ما يجعل تحليل هذا الخطاب يتطلب الجمع بين فهم السياق الذي ينتجه، وتحليل البنيات السردية التي تشكله، بما ينسجم مع الإطار المفاهيمي الذي ينطلق منه هذا البحث.

آليات تشكل الهوية سردياً : الضمير السردي، تعدد الأصوات، السرد الذاتي

لا تتجلى الهوية داخل الخطاب السردي بوصفها معطى جاهزاً، بل تتشكل عبر مجموعة من الآليات التي تسهم في إنتاج صورة الذات وتمثيلها داخل النص. ومن ثم، فإن تحليل الهوية يقتضي الانتباه إلى البنيات السردية التي تؤطر حضورها، باعتبارها عناصر فاعلة في بناء المعنى، لا مجرد وسائل تقنية. وفي هذا الإطار، تبرز مجموعة من الآليات التي تلعب دوراً مركزياً في تشكل الهوية، من بينها الضمير السردي، وتعدد الأصوات، والسرد الذاتي، بوصفها أدوات تكشف عن طبيعة العلاقة بين الذات والخطاب.

يُعدّ الضمير السردي من أبرز المؤشرات التي تحدد موقع الذات داخل النص، إذ يتيح الانتقال بين أنماط مختلفة من تمثيل الهوية. فاعتماد ضمير المتكلم، على سبيل المثال، يمنح السرد طابعاً اعترافياً، حيث تتشكل الهوية من خلال تجربة ذاتية مباشرة، يتم التعبير عنها من الداخل،

بما يسمح بإبراز التوترات التي تعيشها الذات في علاقتها بالعالم. أما استعمال ضمير الغائب، فيؤدي إلى خلق مسافة بين الذات والخطاب، مما يجعل الهوية موضوعاً للملاحظة أو إعادة البناء، لا مجرد تعبير مباشر عن التجربة. ومن هذا المنظور، لا يُفهم الضمير السردي كاختيار أسلوبي فقط، بل كآلية تؤثر في كيفية تشكل الهوية داخل النص، من حيث قربها أو بعدها عن التجربة المعيشة.

إلى جانب ذلك، يسهم تعدد الأصوات في تفكيك وحدة الذات وإبراز طابعها المركب، حيث لا تعود الهوية مرتبطة بصوت واحد متجانس، بل تتشكل عبر تفاعل مجموعة من الأصوات التي قد تتقاطع أو تتعارض داخل الخطاب. ويتيح هذا التعدد كشف التوترات التي تعيشها الذات، سواء في علاقتها بالآخر، أو في علاقتها بذاتها، مما يعكس عدم استقرار الهوية وتعدد مرجعياتها. ومن ثم، فإن تحليل الأصوات السردية لا يقتصر على تحديد عددها، بل يتجاوز ذلك إلى فهم طبيعة العلاقات التي تربط بينها، وما تكشف عنه من صراعات أو تفاوضات داخل بنية النص.

أما السرد الذاتي، فيمثل فضاءً مركزياً لتشكّل الهوية، حيث يتم استدعاء التجربة الفردية وإعادة تنظيمها داخل بنية حكائية تمنحها معنى. غير أن هذا السرد لا يعكس التجربة كما هي، بل يعيد بنائها من خلال آليات الذاكرة والانتقاء والتأويل، مما يجعل الهوية نتاجاً لعملية إعادة كتابة مستمرة. وفي هذا السياق، تتقاطع الذات مع الزمن، بحيث تصبح الهوية نتيجة لتفاعل الماضي مع الحاضر، عبر سرد يربط بين التجربة والمعنى، وهو ما ينسجم مع التصور الذي يرى في السرد أداة أساسية لبناء الذات.(Ricoeur, 1992)

انطلاقاً من ذلك، يتضح أن تشكل الهوية داخل الرواية لا يتم بشكل مباشر، بل عبر وسائط سردية متعددة، تتيح إنتاج صورة معقدة للذات، تعكس تعددها وعدم استقرارها. ومن هنا، فإن تحليل الضمير السردي، وتعدد الأصوات، والسرد الذاتي، لا يُعدّ مجرد تفكيك للبنية النصية، بل مدخلاً أساسياً لفهم الكيفيات التي تُبنى بها الهوية داخل الخطاب، خاصة في سياق الرواية النسائية، حيث تتقاطع هذه الآليات مع إشكالات الجسد والسلطة والذاكرة، بما يعمّق من دلالاتها ويمنحها أبعاداً إضافية.

خاتمة

يتبين، في ضوء ما تم عرضه وتحليله، أن تمثلات الهوية في الرواية النسائية المغربية المعاصرة لا يمكن اختزالها في كونها انعكاساً مباشراً للواقع الاجتماعي، بل هي نتاج بناء سردي معقد، تتداخل فيه الأبعاد الثقافية والرمزية واللغوية. فقد أظهرت الدراسة أن الهوية، في هذا السياق، لا تُعطى بشكل مسبق، وإنما تتشكل عبر آليات سردية متعددة، من قبيل الضمير السردي، وتعدد الأصوات، والسرد الذاتي، وهي آليات تسهم في إنتاج صورة مركبة للذات، تعكس تعددها وعدم استقرارها.

كما كشفت المقاربة المعتمدة أن فهم الهوية يقتضي تجاوز التصورات الجوهرانية، والانتقال نحو تصور بنائي يربطها بالسرد باعتباره فضاءً لإنتاج المعنى، وهو ما ينسجم مع الطروحات التي ترى في الحكي وسيلة مركزية لتشكّل الذات .(Ricoeur, 1992) وفي هذا الإطار، برزت أهمية الربط بين المقاربات الثقافية والسردية والنسوية، بما يتيح فهماً أكثر شمولاً لتمثلات الهوية، خاصة في علاقتها بالجسد والسلطة داخل الخطاب الروائي النسائي.

ومن جهة أخرى، أبانت الدراسة أن خصوصية الرواية النسائية المغربية لا تكمن فقط في الموضوعات التي تتناولها، بل في الكيفيات التي تُبنى بها هذه الموضوعات سردياً، حيث يتم توظيف أدوات الحكي لإعادة تشكيل موقع الذات داخل البنية الاجتماعية والثقافية. وهو ما يجعل من السرد فضاءً لإعادة التفاوض حول الهوية، وليس مجرد وسيلة للتعبير عنها.

وانطلاقاً من ذلك، ينبغي التصريح بوضوح بأن هذه الدراسة تنظر إلى المعارف السياقية لا باعتبارها معطيات خارجية تُسقط على النص، بل بوصفها عناصر تُفعَّل داخل الخطاب السردي ذاته، من خلال آليات بنائه وتمثيله. وبذلك، فإن السياق لا يُستحضر كمرجعية تفسيرية جاهزة، وإنما يُفهم كعنصر دينامي يسهم في إنتاج المعنى، ويتجسد عبر البنيات السردية التي تؤطر حضور الذات داخل النص.

وفي ضوء هذه النتائج، تفتح هذه الدراسة مجموعة من الآفاق البحثية، من بينها إمكانية توسيع نطاق التحليل ليشمل مقارنات بين السرد النسائي المغربي ونظيره في سياقات عربية أخرى، أو استثمار الإطار المفاهيمي المقترح في تحليل أجناس أدبية مختلفة، كالسيرة الذاتية أو القصة القصيرة. كما يمكن تعميق البحث في العلاقة بين الهوية والسرد من خلال استحضار مقاربات جديدة، تربط بين التحليل السردي والدراسات الثقافية في أفق بناء نموذج أكثر تكاملاً لتحليل تمثلات الذات في الأدب المعاصر.

المراجع والمصادر:

- لحمداني، حميد. (1991). بنية النص السردي: من منظور النقد الأدبي. المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء.
- يقطين، سعيد. (1997). تحليل الخطاب الروائي: الزمن، السرد، التبئير. المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء.
- إبراهيم، عبد الله. (2005). السردية العربية: بحث في البنية السردية للموروث الحكائي العربي. المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء.
- كيليطو، عبد الفتاح. (2000). الأدب والغرابة: دراسات بنيوية في الأدب العربي. دار توبقال، الدار البيضاء.
- برادة، محمد. (2001). أسئلة الرواية، أسئلة النقد. المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء.
- كرام، زهور. (2009). السرد النسائي العربي: مقاربة في المفهوم والخطاب. دار رؤية، القاهرة.
- المرنيسي، فاطمة. (1994). الحريم السياسي: النبي والنساء. المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء.
- بنمسعود، رشيدة. (2010). جمالية السرد النسائي. شركة المدارس للنشر والتوزيع.
- بوعزة، محمد. (2017). تمثلات الهوية النسوية في الرواية العربية. مجلة تبيّن، المركز العربي للأبحاث.
- Bruner, J. (1991). The narrative construction of reality. Critical Inquiry, 18(1), 1–21. https://doi.org/10.1086/448619
- Brubaker, R., & Cooper, F. (2000). Beyond identity. Theory and Society, 29(1), 1–47. https://doi.org/10.1023/A:1007068714468
- Butler, J. (1988). Performative acts and gender constitution. Theatre Journal, 40(4), 519–531. https://doi.org/10.2307/3207893
- Butler, J. (1990). Gender trouble: Feminism and the subversion of identity. Routledge.
- Hall, S. (1990). Cultural identity and diaspora. In J. Rutherford (Ed.), Identity: Community, culture, difference. Lawrence & Wishart.
- Ricoeur, P. (1992). Oneself as another. University of Chicago Press.
- Somers, M. R. (1994). The narrative constitution of identity. Theory and Society, 23(5), 605–649. https://doi.org/10.1007/BF00992905
- Taylor, C. (1989). Sources of the self. Harvard University Press.
- Genette, G. (1980). Narrative discourse: An essay in method. Cornell University Press.
- Chatman, S. (1978). Story and discourse: Narrative structure in fiction and film. Cornell University Press.
- Herman, D. (2009). Basic elements of narrative. Wiley-Blackwell. https://doi.org/10.1002/9781444305926
- De Fina, A. (2015). Narrative and identity. In A. De Fina & A. Georgakopoulou (Eds.), The handbook of narrative analysis. Wiley. https://doi.org/10.1002/9781118458200

- Venn, C. (2020). Narrative identity and subject formation. Subjectivity, 13, 247–266. https://doi.org/10.1057/s41286-020-00089-7
- Hnit, H. (2025). Constructing identity through narratives. Heliyon. https://doi.org/10.1016/j.heliyon.2025.e42006
- McAdams, D. P. (2001). The psychology of life stories. Review of General Psychology, 5(2), 100–122. https://doi.org/10.1037/1089-2680.5.2.100